الدولة الرابعة
المنتقلة من ملوك بني إسرائيل الى ملوك الكلدانيين

الكلدانيُّون أمَّة قديمة الرئاسة نبيهة الملوك وكان منهم النماردة الجبابرة الذين كان اولهم نمرود بن كوش من بني حام باني المجدل. وكان من ولد نمرود بختنصَّر الذي غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى بقيتهم وغزا مصر وافتتحها ودوَّخ كثيراً من البلاد. ولم يزل ملك الكلدانيين ببابل الى ان ظهر عليهم الفرس وغلبوهم على مملكتهم وابادوا كثيراً منهم. فدرست اخبارهم وطمست آثارهم. وكانت من الكلدانيين حكماء متوسعون في فنون المعارف من المهن التعليميَّة والعلوم الرياضيَّة والالهيَّة وكانت لهم عناية بأرصاد الكواكب وتحقيق بعلم اسرار الفلك ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم واحكامها. وهم نهجوا لاهل الشقّ الغربي من معمور الارض الطريق الى تدبير الهياكل لاستجلاب قوى الكواكب واظهار طبائعها وطرح شعاعاتها عليها بأنواع القرابين الموافقة لها وضروب التدابير المخصوصة بها. فظهرت منهم الافاعيل الغريبة والنتائج الشريفة من انشاء الطلسمات وما اشبهها. ولم يصل الينا من مذاهب الكلدانيين في حركات النجوم ولا من ارصادهم غير الارصاد التي نقلها عنهم بطليموس القلوذي في كتاب المجسطي. فانه اضطرّ اليها في تصحيح حركات الكواكب المتحيِّرة اذ لم يجد لاصحابه اليونانيين ارصاداً يثق بها.

(بختنصَّر بن نبوفلسَّر) ملك قبل احراقه هيكل الرب واخرابه اورشليم تسع عشرة سنة وبعده اربعاً وعشرين سنة. واسمـــه بالسريانية نبوخذنصر اعني عطارد ينطق[1].

١ – اصل الاسم نبو (وهو عطارد). كدر. نصر. فيكون المعنى نبو ينصر من الكدر.

وانما سمّي بذلك لانه نطق بالعلوم والآداب المنسوبة الى عطارد . وفي السنة الثالثة من قعه ملك اليهود رأى مناماً راعت روحه منه واقتصّه على علماء بابل . فقالوا : هذا خطب عسير لا يكشفه للملك الا آلهة السماء الذين ليس مسكنهم مع الارضيين . فاحتدم صدره لذلك غيظاً وتقدم الى اريوخ صاحب شرطه باهلاك المنجمين والسحرة واصحاب الرقي والزجر والفأل . فقال دانيال لاريوخ : مهلاً اتئد ولا تقتل حكيماً ولكن اوصلني الى الملك . فلما مثل بين يديه مثولاً قال له : اقادر انت على ان تخبرني بالرؤيا التي رأيت وتعبيرها . فأجابه دانيال قائلاً : إله السماء والارض هو الذي يبدي السرائر . وانت ايها الملك رأيت صنماً عظيماً ذا منظر رائع رأسه من الذهب الابريز وصدره وذراعاه من فضة وبطنه وفخذاه من نحاس وساقاه حديد ورجلاه خزف [1] . ورأيت حجراً انقطع من غير قاطع وضرب رجلي الصنم فهشمها هشماً شديداً . فهذه الرؤيا . واما التعبير فأنت رأس الذهب بما منحك الله ملكاً عزيزاً وكرامة وجلالة . ويقوم بعدك ملك يكون دونك في العزّة . والثالث الممثّل بالنحاس يكون دون الثاني . والرابع الممثّل بالحديد دون الثالث فيهشم ويدقّ كثيراً من مجاوريه . اما الارجل والاصابع التي من حديد وخزف فدليل ممالك مختلفة قوية وواهية . واما الحجر المنقطع من جبل من غير يد قاطعة فدليل ملك روحاني مُبيد كل معبود سوى الواحد الحقّ يظهر في آخر الايام . فخرّ بختنصر ساجداً لدانيال واعطاه الالطاف والهدايا ورأّسه على جميع حكماء بابل . وولّى اعمامه حنليا وعزريا وميشائل امر مدينة بابل وسمّاهم باسماء نبطيّة اعني شدراخ وميشاخ وعبدناغو . ثم اتّخذ بختنصر صنماً من ذهب طوله ستون ذراعاً في عرض ستة اذرع . وتقدم الى جميع عظماء دولته ان يوافوا عيد الصنم . وانهم اذا سمعوا صوت القرن وباقي انواع الزمر يخرّون سُجّداً للصنم . فامتثل الجميع امره ما عدا حنليا وعزريا وميشائل . فسعى بهم قوم الى بختنصر انهم لا يعتدّون بأمره . فاستشاط من ذلك غضباً وامر ان يُسجَر الآتون فوق ما كان يُسجَر سبعة اضعاف الوقود وان يُكتّفوا [2] بسراويلهم وقلانيسهم وبرانسهم وباقي ثيابهم ويُزجّوا في اتون النار . فلما فعل بهم ذلك احرقت النار الذين سعوا بهم . فأما هم فمكثوا في النار ممجّدين لله وملاك الطلّ نزل عليهم وامال عنهم لهيب النار فلم تنكِ فيهم ولا في ثيابهم ولا في لباسهم . فلما شاهد الملك ذلك بُهت تعجباً وقال : ارى الرابع منهم شبيه المنظر ببني الآلهة يعني الملاك . وناداهم بأسمائهم قائلاً : يا عباد الله العليّ اخرجوا .

---

١ – ورجلاه من حديد وخزف .

٢ – يكتّفوا ر يكفتوا .

فخرجوا من النار ولم يشط شيءٌ من ثيابهم ولا شعورهم. فرفع بختنصَّر درجاتهم. ثم رأى بختنصر رؤيا ثانية كأنّ شجرة في سواء الارض قد علت حتى بلغت الى السماء ولها ورق انيق وثمار كثيرة فيها مطعم لكل بشر . وجميع حيوانات البرّ وطيور الجوّ تأوي الى ظلّها. وكأنّ ملاكاً قدّيساً نزل من السماء وقال : اقلعوا هذه الشجرة واجذُّوا اغصانها وانثروا اوراقها وبدّدوا ثمارها وتتفرَّق عنها حيوانات البرّ وطيور الجوّ وذَروا عروقها في الارض الى ان يحول عليها سبعة احوال. فاقتصّ بختنصَّر هذه الرؤيا ايضاً على دانيال وقال له : انت قادر على تعبيرها لانّ فيك روح الآلهة القديسين. فقال دانيال : ايها الملك الرؤيا لمن يشنأك وتعبيرها على اعدائك . اما الشجرة الموصوفة بتلك الصفات الجليلة فانك انت الذي عززت حتى ارتفع اسمك الى السماء . واما الملاك القديس الذي رأيت واقواله تلك فتدلّ على انّ الناس يُخرجونك من بينهم ليصير لك تعمُّر مع الوحوش وتُطعم العشب طعماً كالثور ويبلّك قطر السماء حتى تحول عليك سبعة احوال . ثم يثوب عقلك اليك وتستوي على كرسي ملكك . فكفّر خطاياك بالصدقات وآثامك بالترحُّم على الضعفاء لتبعد عنك هفواتك .

ومن بعد سنة لما رأى بختنصَّر ان رقاب امم المسكونة قد خضعت له ودانت له ملوكها هيبة له وخوفاً من شدَّة بأسه طغى بقلبه وشمخ بأنفه واخذته العزَّة في نفسه. فسمع صوت هاتف يهتف به هتافاً ويقول : لك يقولون يا بختنصَّر لقد لفظتك مملكتك وسيهيج عليك الناس . فتمَّت الكلمة عليه في تلك الساعة وطرده الناس ورعى العشب كالثور . وطال شعره وصارت اظافيره كمخاليب سباع الطيور حتى اتت عليه سبع سنين . ثم راجعه عقله وطلبه قادته واستوى على سرير مملكته ومنح مزيداً من العظمة وحمد الله وعلم ان سلطانه الى دهر الداهرين يهب الملك لمن يشاء ويجعله في سفلة الناس وسُقَّاطهم.

* * *

وجدت في كتاب عتيق سرياني مجهول ان اوطولوقيوس المهندس اليوناني عرف في زمان بختنصَّر وكان مشهوراً في وقته. والموجود من كتبه الآن كتاب الكرَّة المتحرّكة اصلاح الكندي وكتاب الطلوع والغروب ثلث مقالات. واما ثاوذوسيوس فلم نقف له على زمان معيَّن وهو من حكماء اليونان المشهورين وله تصانيف حسان . له كتاب الاكر الذي هو اجلّ الكتب المتوسطات بين كتاب اوقليدس والمجسطي .

وفي هذا الزمان كان فورون الفيلسوف الكلدي [١] . وكانت حكمته هي الحكمة الاولى التي لم تستقرّ . وكان صاحب فرقة وله جمع يتعلمون منه الفلسفة الطبيعية وذهب اليها فيثاغوروس وثاليس الملطيّ وعامّة الطلبة من اليونانيّين والمصريّين. وكانت هذه الفلسفة شائعة في يونان الى قبل زمان سقراطيس . ثم مال الناس عنها وقد انتصر لها اناس من المتأخرين منهم محمد بن زكريا الرازي لانه لم يتوغل في العلم الالهي ولا فهم غرض ارسطوطاليس فيه فاضطرب رأيه وتقلّد آراء سخيفة وانتحل مذهباً خبيثاً مذهب فورون وذمّ اقواماً لم يفهم عنهم ولا هُدِي سبيلهم . وفرقة فورون يُعرفون باصحاب اللّذة لانهم كانوا يرون ان الغرض المقصود اليه في تعلم الفلسفة اللذة الحاصلة للنفس بمعرفتها وهي مع البدن لانجائها من عذاب الجهل في الآخرة كما هو رأي ارسطو لان النفس لا بقاءَ لها بعد البدن عندهم.

(أوِل مرودخ بن بختنصر) ملك ثلث سنين . هذا اخرج يوياخين بن يوياقيم من السجن واكرمه وآكله موائكلة بعد سبع وثلاثين سنة وكان فيها معتقلاً. وقُتل مرودخ وملك بعده اخوه بلطشاصر .

(بلطشاصر بن بختنصّر) ملك سنتين . ثم عمل وليمة عظيمة لالف رجل من اكابر دولته وكان يشرب الخمر بازائهم . وامر وهو يشرب ان يؤتى بآنية هيكل الرب التي سباها ابوه من اورشليم وشرب فيها مع عظمائه. فظهرت قبالته كفُّ يدٍ كاتبة عقابه في ضوء المصباح على الحائط . فرابته الكتابة واحضر حكماء بابل ليترجموا الكتابة . فعجزوا عن حلّها. فامتعض لذلك امتعاضاً شديداً. فأخبرته أمّه عن دانيال النبي انه درّاك غيب وحلاّل عُقد. فاستدعاه وضمن له ان يلبسه الارجوان وان يولّيه ثلث الملك ان اوّل الكتابة. فقال دانيال: لتكن مواهبك لك واجعل ذخائر بيتك لغيري. امـــا الكتابة فقراءتها أُحصي احصاءً وزن وأعري . وتأويلها: ان الله احصى ملكك واستلبه . ووزنك زنة فوجدك شائلاً فلذا اعراك من ملكك فأنت عارٍ عُرْية. وفي تلك الليلة اغتاله داريوش المادي [٢] وقتله.

---

١ – الكلدي ر الكلداني . – كان مولده في مدينة « أليس » من القسم المسمى « أليد » من بلاد اليونان القديمة. ولعل الكلدي تصحيف الالدي .

٢ – المادي ر الماهي .